خاتمـة

أجمع البلغاء على أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح ، لأن الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم ، فهو كدعوى الشيء بالبيئة والبرهان .. مثال ذلك أنك إذا قلت : « رأيت معلما صامتا فى يد فلان » ، تريد بذلك (كتابا) : فأنت تريد أن تثبت للكتاب دعوى أنه معلم .. وقد أقمت الدليل على هذه الدعوى بإثبات معنى المعلم للكتاب ، حين أوهمت أنك لم تر كتابا ، وإنما رأيت معلما فعلا .. وفرق كبير بين أن تقول : « رأيت كتابا يعلم » ، وبين أن تقول : — وأنت تعنى الكتاب — « رأيت معلما » . ..

وحين قال امرؤ القيس عن صاحبته إنها « نئوم الضحى » : ادعى دعوى ، وهى أنها منعمة مرفهة ، فى بيتها خدم وحشم يكفونها أمرها ، وينهضون بشئونها ، ثم أقام الدليل على ذلك بأنها كثيرة نوم الضحى ، وذلك أن المرأة لا تفعل ذلك إلا إذا كانت من ذوات النعمة والكفاية ، ولو قال إنها تملك خدما لم يكن ذلك فى قوة قوله : (نئوم الضحى) ..

وأجمع علماء البلاغة أيضا : على أن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، لأن فى الاستعارة إيهامَ أنه ليس معنا فى الحقيقة إلا مستعار منه ، فحين يقول قائل : « امتطيت نسرا » وهو يريد فرسا سريعا : يوقع فى الوهم أنه لم يركب فرسا — لأنه يبنى الكلام على تناسى أن هنا فرسا — وإنما ركب نسرا .. أما التشبيه فهو يحضر أمامك الطرفين ، فأنت ترى شيئين هما المشبه والمشبه به ، وكل ما أفادك التشبيه : أنه شبه الناقص فى وجه الشبه بهذا الكامل فيه ..

والزيادة التى يحدثها المجاز والكناية : ليست زيادة فى المعنى ، بل هى زيادة فى تأكيد الإثبات ، فقولك : « هذا الفرس نسر » و « امتطيت نسرا » : واحد فى مقدار المعنى ، وهو السرعة التى أثبتها للفرس ، فأنت لم تثبت فى الاستعارة

سرعة أكثر ، وإنما التفاضل فى أنك فى الاستعارة : أكدت السرعة التى أثبتها للفرس ، وأوهمت أن سرعة النسر ثبتت بما لا يدع مجالا للشك للفرس ، وهذا التأكيد لم يحصل من التشبيه ..

* * *

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه .

والحمد لله فى البدء والمختتم ، وصلواته وتسليماته على محمد أفصح العرب والعجم ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين ..

شواهد من بيان القرآن الكريم

(أ) من تشبيهات القرآن

١ – ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين..﴾ .. (لقمان : ٣٢) .

٢ – ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصّعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ..﴾ .. (الأنعام : ١٢٥) .

٣ – ﴿وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها إن ربى لغفور رحيم ، وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ..﴾ .. (هود : ٤١ – ٤٢) .

٤ – ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة ..﴾ .. (المنافقون : ٤) .

٥ – ﴿ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شىء قدير ..﴾ .. (النحل : ٧٧) ..

٦ – ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ..﴾ .. (الحديد : ٢٠) ..

٧ – ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ..﴾ .. (الرحمن : ٣٧ – ٣٨) ..

٨ – ﴿وحور عين ، كأمثال اللؤلؤ المكنون ..﴾ .. (الواقعة : ٢٢ – ٢٣) .

٩ – ﴿يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين ..﴾ .. (البقرة : ٢٦٤) ..

١٠ – ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ، إنا جعلناها فتنة للظالمين ، إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم ، طلعها كأنه رءوس الشياطين..﴾ .. (الصافات : ٦٢ – ٦٥) ..

وقد أثار هذا التشبيه الأخير جدلا بين علماء البلاغة قديما ، من منطلق أن الناس لم يروا الشياطين .. فكيف يقع التشبيه بما لم يروا ؟ ؟

وقد أجاب الجاحظ عن هذا التساؤل ، فقال : « وليس أن الناس رأوا شيطانا قط على صورة ، ولكن لما كان الله تعالى قد جعل فى طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين ، واستسماجه وكراهيته ، وقد أجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل فى ذلك ، رجع بالإيحاش والتنفير ، وبالإخافة والتقريع ، إلى ما قد جعله الله فى طباع الآخرين ، وعند جميع الأمم ، على خلاف طبائع جميع الأمم .. » ..

(ب) من مجاز القرآن

١ – ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ..﴾ (الأنعام : ٦٨) ..

٢ – ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ .. (الرعد : ٢٥) ..

٣ – ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ .. (آل عمران : ١٠٣) ..

٤ – ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لا تخذت عليه أجرا﴾ .. (الكهف : ٧٧) ..

٥ – ﴿وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ (الفرقان : ٢٣) ..

٦ – ﴿وكذلك أعثرنا[1] عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها﴾ .. (الكهف : ٢١) ..

٧ – ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾ .. (الأنبياء : ١٧) ..

قيل : اللهو : المرأة ، وقيل : الولد .. وقيل : اللهو بلغة أهل اليمن : المرأة ..

٨ – ﴿ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك﴾ .. (الانشراح : ١–٢)..

---

(١) يريد أطلعنا عليهم .. وأصل هذا أن من عثر بشيء ، وهو غافل ، نظر إليه حتى يعرفه ، فاستعير العثار مكان التبين والظهور .

أى ذنبك ، وأصل الوزر : ما يحمله الإنسان على ظهره ..

٩ – ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لاتواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا﴾ .. (البقرة : ٢٣٥) ..

أى : لا توعدوهن نكاحا ، لأن النكاح يكون سرا ولا يظهر ، فاستعير له السر ..

١٠ – ﴿وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ (نوح : ٢٦ – ٢٧) ..

أى : يؤول أمره إلى أن يكون فاجرا كفارا ..

١١ – ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ .. (إبراهيم : ٤) .. المراد باللسان : اللغة ...

١٢ – ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ .. (النحل : ١١٢) ..

فاللباس هنا : مستعار لآثار الشدائد والمضار التى حلت بهذه القرية ..

(جـ) من كنايات القرآن

١ – ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾ .. (القلم : ٥١) ..

كناية عن نظرهم إليه (عليه السلام) بالعداوة نظرا شديدا ..

٢ – ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾ (الإسراء/ ٢٣) ..

كناية عن عدم الضيق بوالديه ، وعدم الضجر منهما فى أى صورة من الصور ، مهما تكن الأسباب .. والناس يقولون لما يستثقلون : أف له ..

٣ – ﴿فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ .. (الرحمن : ٥٦) ..

كنى بقصر الطرف (وهو غض البصر) عن العفة ..

٤ – ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشر مثلنا ، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى﴾ .. (هود : ٢٧) ..

كنوا ببشريته عن عدم استحقاقه للنبوة ، لأن النبى فى زعمهم لا يكون بشرا ..

٥ – ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾ .. (الأحزاب : ٤٩) ..

بعض أهل الأدب يجعل النكاح كناية عن الوطء ، وإنما ذكر لئلا يصرح بلفظ الوطء ، وهو مما يستهجن ..

ومثل ذلك الكناية بالرفث فى قوله تعالى : ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ .. (البقرة : ١٨٧) .. فالرفث كناية عن الوطء ..

وهناك كناية أخرى ، وهى قوله سبحانه ﴿تمسوهن﴾ .. فالكلمة كناية عن الوطء أيضا .. والآية هنا دليل من يقول : إن الأصل فى النكاح العقد ، وهذا هو الأكثر دورانا فى لغة العرب وكلامهم ..

على أن بعضهم يرى : أن النكاح حقيقة فى الوطء ، مجاز فى العقد ، وعلى هذا يكون من باب المجاز المرسل الذى علاقته السببية ..

من بيان الرسول ﷺ

(أ) من تشبيهات الحديث النبوى

١ – « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأجملها إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يمرون عليها ويقولون ما أجمل هذه الدار لولا موضع هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .. (البخارى) ..

٢ – « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) ، وإما أن نبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة .. ونافخ الكير إما أن يحرق ثوبك ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة » .. (البخارى ومسلم) ..

٣ – «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».. (البخارى)[١].

٤ – « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أتتها الرياح كفأتها ، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء ، والفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء » .. (صحيح مسلم)[٢] .

٥ – « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين غنمين ، تعور إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة .. » (صحيح مسلم)[٣] .

---

(١) تداعى : تأثر وانفعل .

(٢) الخامة : النبته الطرية ، كفأتها : أمالتها ، الأرزة : نوع من الشجر الصلب ، صماء : ممتلئة ، يقصمها : يكسرها .. والحديث يشير إلى رضا المؤمن بالقضاء الإلهى وسخط الفاجر عليه ..

(٣) العائرة : المترددة المتذبذبة .

٦ – « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه خمس مرات : هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنة شيء .. قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » .. (البخارى)[١] .

٧ – « مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم » .. (البخارى) .. والمراد بالقائم : الذى يقوم الليل ويحييه بالعبادة ..

٨ – « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت » (البخارى) .. فالذى يذكر ربه يحيا قلبه ، فينتفع بحياته ، والذى لا يذكر خالقه يموت قلبه ، فتضيع حياته سدى .. فنسأل الله المعافاة ..

٩ – « ما الدنيا فى الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه – وأشار بالسبابة – فى اليم ، فلينظر بم يرجع » .. (صحيح مسلم) ..

١٠ – « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » .. (مجمع الأمثال)[٢] .

والحديث يزدان بالتشبيه البليغ ، حيث شبه الناس بالمعادن ، فى أنها تحتاج فى معرفتها إلى بحث ، وفى اختلاف طبائعها إلى نظر .. وحذف وجه الشبه ثم الأداة ، والأصل : الناس كالمعادن ..

١١ – « الدال على الخير كفاعله » .. المجازات النبوية – الشريف الرضى ..

---

(١) الدّرن : الوسخ ..

(٢) المعادن : جمع معدن : وهو مستقر الجواهر ، وعدن بالمكان : أقام فيه ..

(ب) من مجاز الحديث النبوى

١ – « إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم .. » .. البخارى[١] ..

وقد عدّ ابن دريد هذا القول من الكلام المفرد الوجيز ، الذى لم يسبق إليه رسول الله ﷺ[٢] ..

ويقول أبو هلال العسكرى : هذا مثل ضربه النبى الكريم : لمن أُعطى من الدنيا حظا ، فألهاه الاشتغال به ، والاستكثار منه ، والحرص عليه ، ومجانبة القصد فيه – عن إصلاح دينه ، فيكون فيه هلاكه ، كما أن الماشية إذا لم تقتصد فى مراعيها ، حبطت بطونها ، فماتت أوكادت[٣] .

ولا شك أن إسناد الإنبات إلى الربيع (المطر) لا يخلو من مجاز عقلى ، لأن المنبت حقيقة هو الله ، والعلاقة السببية ...

٢ – « الرزق أشد طلبا للعبد من أجله .. » .. ابن حبان ..

فقد شبه كل من الرزق والأجل بإنسان يجرى وراء إنسان ، ويشتد عدوا فى طلبه ، على سبيل الاستعارة المكنية ...

٣ – « رأس الحكمة مخافة الله .. » .. البيهقى ..

ويراد بالحكمة : إصابة الحق بالعلم والعقل ... فالحكمة من الله تعالى : معرفة الأشياء ، وإيجادها على غاية الإحكام .. ومن الإنسان : معرفة الموجودات وفعل الخيرات ، وهو المراد بها هنا ..

---

(١) الربيع : اسم للغيث – المطر – فى الأصل وهو المراد هنا ، حبطا : انتفاخا ، يلم : يوشك ويقرب ..
(٢) فتح البارى جـ ١١ ص ٢٤٨ . ط . السلفية ..
(٣) جمهرة الأمثال جـ ١ ص ٧ ..

والحديث لا يخلو من مجاز (لغوى) حيث شبهت الحكمة بمخلوق له رأس (إنسان مثلا) ..على سبيل الاستعارة المكنية ...

٤ – « من سرّه أن يبسط له فى رزقه ، وأن ينسأ له فى أثره ، فليصل رحمه .. » البخارى[١] ..

والمجاز فى قوله : « رزقه » حيث مُثّل بثوب يمكن أن يبسط على سبيل الاستعارة المكنية ... وفى قوله : « ينسأ » بمعنى يؤخر ، حيث شبّه البركة فى العمر بالتأخير ، على سبيل الاستعارة التبعية ...

٥ – « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه .. » .. الترمذى[٢] ..

والحديث يصف الدين بالقوة وتمام التماسك فى أوامره ونواهيه ، فعلى من يتصدى له بالتطبيق أن يدخل إليه بسماحة ورفق دون غلو ومبالغة لأنه دين الفطرة .. فقد شبهت أوامر الدين وأحكامه بالمتانة ، بجامع عدم القدرة على الاجتياز فى كل ، واشتق من المتانة : « متين » بمعنى قوى ، على سبيل الاستعارة التبعية .. فالحديث لا يخلو من مجاز ..

٦ – « يهرم ابن آدم ويشيب اثنتان : الحرص والأمل .. » .. المجازات النبوية ..

ففى قوله عليه الصلاة والسلام : « ويشيب معه اثنتان » : مجاز ، حيث شبه شدة الحرص على المال والحياة بالشباب ، بجامع القوة فى كل ، واشتق من الشباب بمعنى القوة : يشيب بمعنى يقوى ، على سبيل الاستعارة التبعية ...

٧ – « كفى بالسلامة داء .. » .. المجازات النبوية للشريف الرضى ..

والسلامة ليست فى حقيقتها داء ، ولكنها توصل إليه ، وتقود صاحبها إلى ساحته ، فبعد الصحة المرض ، وبعد القوة والفتوة الضعف والهزال ، وامتداد

---

(١) ينسأ : يؤخر ، أثره : المراد به هنا : عمر الإنسان ...

(٢) متين : قوى ، أوغل : ادخل وأقبل .

الأجل يفعل بالإنسان الأفاعيل ، حيث تموت لذاته ، وتكثر انحناءاته ، وتزيد آلامه ، وصدق لبيد بن ربيعة :

وَدَعَوْتُ رَبِّى بالسَّلامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّنِى ، فَإِذَا السَّلامَةُ داءُ

فالسلامة ليست داء ، ولكنها سبب فيه ، ومفضية إليه ..

وعلى هذا فإن الحديث قد ازدان بالمجاز المرسل ، وعلاقته السببية ، حيث استعمل الداء فى سببه وهو السلامة ، لأن السلامة سبب فيه ..

٨ – « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه .. » .. المجازات النبوية ..

وفى الحديث من صور المجاز : استعارة تصريحية ، حيث شبه بطن الإنسان بالوعاء ، بجامع أن كلا منهما يملأ إذا كان فارغا ، ثم حُذف المشبه وصرح بالمشبه به ..

٩ – « شفاء العى السؤال .. » .. المجازات النبوية . ط . الحلبى[1] .

فالإنسان إذا أعياه الأمر ، وأشكل عليه ، وتحيّر فيه : أصبح كالمريض الذى يود أن يبرأ من مرضه ، وتذهب عنه علته ، وشفاؤه أن يسأل عما خفى عليه ..

والحديث فيه استعارة بالكناية ، حيث شبه العى (الجهل) بالمرض ، بجامع الفساد والألم فى كل ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشىء من لوازمه ، وهو الشفاء ، وإضافة الشفاء إلى العى تخييل ... .

١٠ – « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .. » .. المجازات النبوية ...

وفى الحديث من صور المجاز : استعارة تبعية ، حيث شبه إذهاب الحسد للحسنات : يأكل النار للحطب ، بجامع الإفناء فى كل ، واشتق من الأكل بمعنى الإفناء : يأكل ، بمعنى يفنى على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ... وفيه – أيضا – استعارة مكنية فى « تأكل النار » : لأن النار لا تأكل ، وإنما

---

(١) العى : عدم الفهم وعدم القدرة على التحصيل والاستيعاب ..

شبهت بحيوان يأكل ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الأكل ...

١١ – « الخير معقود بنواصى الخيل .. » .. مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٣٤٢ ..

والحديث فيه استعارة بالكناية ، حيث شبه الخير بشيء مادى ، يمكن أن يعقد بنواصى الخيل[١] .. ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو « معقود » على سبيل الاستعارة المكنية ...

ومن لطائف الاستعارة هنا : التجسيم وتحويل الشيء المعنوى إلى شيء حسى ...

* * *

(١) النواصى : جمع ناصية وهى مقدم شعر الرأس ..

(جـ) من كنايات الحديث النبوى

١ – « لا ترفع عصاك عن أهلك .. »

فليس المراد هنا : الضرب بالعصا على الحقيقة ، وإنما المراد : لا ترفع عنهم التوجيه والتأديب ، ولا تقطع التقويم لهم ، فكنى عن ذلك بالعصا ، حملا للكلام على عرف العرب ، لأن المتعارف بينهم أن التأديب فى الأكثر لا يكون إلا بقرع العصا ، والحديث قد أبرز المعقول فى صورة المحسوس ...

٢ – « إن كان وسادك لعريضا .. » .. البخارى ومسلم ..

وذلك أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ...﴾ ... (البقرة : ١٨٧) .. أحضر عدى عقالين أبيض وأسود ، ليعرف بهما طلوع النهار ، فلما علم النبى ﷺ بذلك ، قال هذه الكلمة ..

والعرب تكنى عن قلة الذكاء بقولهم : « عريض القفا » .. فكناية الرسول الكريم بعرض الوسادة : تتضمن عرض القفا ..

٣ – « الولد للفراش وللعاهر الحجر .. » .. صحيح مسلم ..

والمراد : أن العاهر لا شىء له إذا ادعى الولد ، فعبر عن ذلك بالحجر ، أى له من ذلك ما لا خطر فيه ، ولا انتفاع به ، فله من دعواه الخيبة والحرمان ، وهذا أحد تأويلين للحديث ...

٤ – « فطوبى لامرىء نظر لنفسه ، ومهد لرمسه ، ما دام رسفه مرخى ، وحبله على غاربه ملقى .. » .. صحيح مسلم[1] ..

---

(١) طوبى : اسم للجنة ، الرمس : القبر ، الرسن : حبل تقاديه الدابة ، غارب كل شىء : ظهره ...

الحديث يحض الإنسان على أن يهتم بأمر آخرته ، قبل أن يفوت أوان ذلك ، فمادام لا تعوقه عوائق ، ولا تقيده موانع ، فيجب أن يسارع إلى التقوى فقول النبى الكريم ﷺ : « ما دام رسنه مرخى ، وحبله على غاربه ملقى » : كناية عن عدم انشغاله بما يعوقه عن طاعة الله عز وجل ، فهو يلهو حرا طليقا ، فيجب أن يستغل ذلك فى إسعاد نفسه دنيا وأخرى ..

٥ – « من يوقظ صويحبات الحجر ، فيارب كاسية فى الدنيا ، عارية يوم القيامة .. » .. البخارى ومسلم[١] ..

فقد كنى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، بقوله : « فيارب كاسية فى الدنيا .. » عن الستر وعدم انكشاف الحال ، ومن ثم عدم ظهور ما ينبغى ظهوره .. وبقوله عليه السلام : « عارية يوم القيامة .. » .. عن انكشاف المستور ، وظهور الحال ، وافتضاح الأمر ، ومثول الإنسان على حقيقته دون زيف ..

---

(١) صويحبات الحجر : المراد منهن أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم ...

ملحق عن الأمثال
ومعناها فى الأدب العربى

معنى المثل :

المَثَل : بفتح الميم والثاء فى الأصل بمعنى النظير والشبيه ..

ثم نقل من هذا المعنى : إلى القول السائر ، أى الذائع المشهور ، الممثّل مضربه بمورده ..

وقد جاء فى لسان العرب عن كلمة « مثل » ما يلى :

– إن مثل كلمة تسوية يقال : هذا مِثْله ومَثَله (بكسر الميم وسكون الثاء) فى الأول ، (وفتحهما) فى الثانى ، أى شبهه ، وشبهه بمعنى ، والفرق بين المماثلة والمساواة ، أن المساواة تكون بين المختلفين والمتفقين ، لأن التساوى هو التكافؤ فى المقدار لا يزيد ولا ينقص .

– وأما المماثلة : فلا تكون إلا فى المتفقين :

تقول نحوه كنحوه ، ولونه كلونه ، وطعمه كطعمه ..

فإذا قيل : هو مثله على الإطلاق فمعناه : أنه يسدّ مسدّه ، وإذا قيل : هو مثله فى كذا ، فهو مساو له فى جهة دون جهة ، ثم قال صاحب اللسان : إن المثل يكون بمعنى الصفة وبمعنى الآية والعبرة[1] ..

وقيل : إن المَثَل (بفتح الميم والثاء) ، والمِثْل (بكسر الميم وفتح الثاء) ، عبارة عن تشابه المعانى المعقولة ، وإن : المِثْل (بكسر فسكون) .. عبارة عن تشابه الأشخاص المحسوسة ، وقد يدخل أحدهما على الآخر[2] ..

---

(١) لسان العرب جـ ١٤ ص ١٣١ – ١٣٢ . ط . الدار المصرية .

(٢) مقدمة كتاب الأمثال للميدانى جـ ١ . المطبعة الخيرية .

ويذهب المبرد إلى : أن « المثل » قول سائر ، يشبه به حال الثانى بالأول ، مأخوذ من المثال ، والأصل فيه التشبيه ، فقولهم : مثل بين يديه : أى وقف مشبها الصورة المنتصبة ، وفلان أمثل من فلان ، أى أشبه بما له من الفضل ..

فحقيقة المثال : ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول ، ومن هنا سميت الحكم ، القائم صدقها فى العقول : أمثالا ، لانتصاب صورها فى العقول ، مشتقة من المثول الذى هو الانتصاب ..[١] ..

ويقرر أبو هلال العسكرى فى كتابه « جمهرة الأمثال » : أن : « كل حكمة سائرة تسمى مثلا ، وقد يأتى القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به ، إلا أنه لا يتفق أن يسير ، فلا يكون مثلا ..[٢] ..

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نقرر : أن الكلمة إذا شاعت وانتشرت ، وكثر دورانها على الألسنة تكون مثلا ، أما إذا كانت الكلمة صائبة ، وصادرة عن تجربة ، ولم تدر على الألسنة ، فهى حكمة ..

وإذا كان المثل – كما قررنا – هو الذى يشبه مضربه بمورده .. فإن المراد بالمضرب : الحالة المشبهة التى أريدت من الكلام .. كما أن المراد بالمورد :الحالة الأصلية التى ورد فيها الكلام ..

ويلاحظ أن هذا التعريف : إنما يراد به الأمثال السائرة ، وهو ما يتبادر إلى الذهن ، عند إطلاق كلمة « الأمثال » ..

وهناك نوع : يستعمل فيه لفظ « المثل » : استعمالا بلاغيا ، فيكون لتشبيه معقول بمحسوس ، أكثر منه وضوحا ، وهو المعروف بالمثل القياسى ..

---

(١) الأمثال للميدانى ص ٥ – المطبعة الخيرية .

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال ص ١ – ٥ .

أنواع المثل

النوع الأول :

المثل الموجز السائر : وهو إما شعبى لا تعمل فيه ، ولا تكلف ولا تقيد بقواعد النحو .

وإما كتابى ، صادر عن ذوى الثقافة العالية كالشعراء والخطباء . كقولهم : « رب عجلة تهب ريثا » .. « كالمستجير من الرمضاء بالنار » ..

النوع الثانى :

المثل القياسى : وهو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما ، عن طريق التشبيه والتمثيل ، ويسميه البلاغيون : « التشبيه التمثيلى » .. وهو يكون مركبا .. لأنه تشبيه شىء بشىء ، لتقريب المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين إلى الآخر . وذلك بقصد التأديب والتهذيب ، أو التوضيح والتصوير .. ويتميز هذا النوع بالإطناب ، والجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير ..

النوع الثالث :

المثل الخرافى : وهى حكاية ذات مغزى على لسان حيوان أو طائر ، لغرض تعليمى أو فكاهى ، وما أشبه ذلك ..

وعلى هذا ، فالفرق بين المثل الخرافى والقياسى : أن الأول تنسب الأحاسيس الإنسانية فيه ، إلى غير الإنسان من حيوان أو طير أو غيرهما ..

أما الثانى أى (القياسى) : فالحيوانات فيه إن استخدمت ، لا تعدو أن يكون الغرض من ورائها : توضيح فكرة ، دون أن تخرج بذلك عن طبيعتها ونوعها ..

والمثل الخرافى : يرمز إلى الأشياء ، أى يقال لشىء ويراد به شىء آخر ..

أما القياسى : فيراد به الأشياء المذكورة فيه ، لتوضيح الفكرة عن طريق التشبيه والتمثيل ..

معنى ضرب المثل :

يقول الله تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ..﴾ ..[١] .. فما معنى ضرب المثل ؟ ؟

قيل : إنه مشتق من قولك : « ضرب فى الأرض » .. أى سار فيها .. فمعنى ضرب المثل حينئذ : جعله ينتشر ويذيع ويسير فى البلاد ..[٢] ..

وقد يكون معنى « ضرب المثل » : نصبه للناس ، بإشهاره ، لتستدل عليه خواطرهم ، كما تستدل عيونهم على الأشياء المنصوبة ، وعلى هذا يكون اشتقاقه من قولهم « ضربت الخباء » .. إذا نصبته وأثبتّ طنبه ..

قال الشريف الرضى : قوله تعالى : ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل ..﴾ ..[٣] .. أى : ينصب منارهما ، ويوضح أعلامهما ، ليعرف المكلفون الحق بأعلامه فيقصدوه ، ويعرفوا الباطل فيجتنبوه ..

هذا ، وقد يفهم من ضرب المثل : صنعه وإنشاؤه ، فيكون مشتقا من ضرب اللّبن وضرب الخاتم ..

وقد يكون من الضرب بمعنى : إيقاء شىء على شىء ..[٤] ..

ومنه ضرب الدراهم : أى إيقاع النموذج الذى به الصك ، على الدراهم لتنطبع به ، فكأن المثل مطابق للحالة التى جاء لإيضاحها ..

---

(١) سورة الحشر : آية ٢١ .
(٢) مقدمة كتاب جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى .
(٣) سورة الرعد : آية ١٧ ..
(٤) تلخيص البيان فى مجازات القرآن ص ١٠٧ ..

دور المثل فى الأساليب :

المثل قول موجز سائر على الألسنة ، وارد فى حادثة ، أو مستمد من ملاحظة فى البيئة ، أو مرتبط بأشخاص اشتهروا فى صفات محبوبة أو مكروهة .. لذا كانت له وظيفة بيانية ، فهو يؤثر تأثيرا عجيبا فى الآذان ، كما أنه يقرر المعانى ويؤكدها فى الأذهان ..

والمثل تجتمع فيه أمور لا تكون فى غيره : من إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، ودقة التشبيه ، وجودة الكناية ، وسلامة الفكرة ، فهو نهاية البلاغة .

وفى الأمثال من تأنّس النفس ، وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق ، أمر لا يجحده أحد ولا ينكره .. وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا ، فالأمثال شواهد المعنى المراد ، وهى خاصية العقل ولبّه وثمرته ..[1] ..

ويلاحظ أن الأمثال ذاعت وانتشرت فى الجاهلية ، ويعزى ذلك إلى :

(أ) أنها بيئة فطرية تغلب فيها الأمية ، وتشتد الحاجة إلى التجارب المستخلصة ، فى أقوال موجزة يهتدى بها ..

(ب) وأن الأمثال صدرت فى أكثر حالاتها ، عن ذكاء ودقة ملاحظة ، ونفاذ بصيرة ، مما يجعل لها معنى صادقا مقبولا لدى معظم الناس ..

(جـ) تصاغ الأمثال غالبا فى عبارة حسنة ، فإذا ما ضربت ظهرت فيها دقة التشبيه بين المورد والمضرب ، وفى ذلك من الجمال الفنى ، ما يرضى ذوق العربى ، ويغريه بكثرة استعمالها ، فتنتشر على الألسنة ..

(د) ارتباط المثل بحادثة أو حكاية يساعد على ذيوعه وشيوعه ..

---

(١) أعلام الموقعين لابن القيم الجوزية . جـ ١ ص ٢٩١ - مكتبة الكليات الأزهرية .

المثل صوت الأمة :

تأتى الأمثال تصويرا نابضا لحياة الأمم والشعوب ، وترجمة صادقة لما تمور به من مشاعر وأحاسيس ، فهى مرآة تنعكس عليها صورة الحياة الاجتماعية والسياسية والطبيعية ، وهى تعبير عن عامة الناس ونفسياتهم ، لصدورها دون تكلف أو تصنع ، ولذلك يتجه الباحثون فى طباع الأمم إلى دراسة أمثالها .. لذلك كانت الأمثال لسانا ناطقا بحال الأمة ، يضاف إلى هذا :

(أ) أنها مرتبطة بالبيئة وما فيها من حرب وصلح ومفاوضات ..

(ب) أنها تعبر عن صفات العرب وأخلاقهم وعاداتهم .

(جـ) ترتبط بحياتهم وأحداثهم ، وتعبر عن طرق تفكيرهم ودقة ملاحظاتهم ، ولهذا تتنوع الأمثال من أمة إلى أخرى ، تبعا لاختلاف البيئة والثقافة ، وتباين العصور ... .

من أمثال العرب

١ – « قطعت جَهيزةُ قولَ كل خطيب .. » ..

مورد المثل : أن قوما اجتمعوا للصلح بين قبيلتين ، قتلت إحداهما رجلا من الأخرى ، وألقيت خطب كثيرة فى الاجتماع ، لعل أهل القتيل يرضون بالدية ، وبينما هم فى ذلك : دخلت جارية اسمها « جهيزة » لتخبرهم بأن أهل القتيل قد ظفروا بالقاتل فقتلوه .. فقال واحد من الحاضرين :

« قطعت جهيزة قول كل خطيب .. » .. ومعناه أن هذا الخبر حسم الخلاف ، ووضع حدا للخطب ...

مضرب المثل : يضرب هذا المثل لمن يأتى بالقول الحاسم عند اختلاف الآراء .

٢ – كيفَ أعاودُكَ وهذا أثرُ فأسِكَ ؟

مورد المثل : أصله قصة خيالية ، خلاصتها : أن أخوين أصاب القحط أرضهما ، وكانا على مقربة من واد كثير المرعى ، تحميه حية وتمنع الناس من النزول فيه ، فجاء أحدهما ليرعى فى هذا الوادى ، فنهشته الحية وقضت عليه ، فطاردها أخوه ، لينتقم منها ، فتوسلت إليه أن يعفو عنها ، على أن تتركه يرعى فى الوادى ، فرضى بذلك ، ولكنه كان كلما رأى الحية ، ثارت نفسه ودفعته إلى الأخذ بالثأر ، فتربص بالحية يوما ، حتى رآها وهى تخرج ، فانقض عليها بفأسه ، ولكن الضربة أخطأتها ، وتركت أثرا فى جحرها ، وخشى أن تنتقم الحية منه ، لأنه نقض عهده معها ، فرجاها أن تعفو عنه ، ويعود ما كان بينهما من صفاء : فقالت له :

« كيف أعاودك وهذا أثر فأسك .. » ..

مضرب المثل : يضرب لمن نقض عهده مرة ويخشى منه تكرار ذلك :

٣ – ما يومُ حليمةَ بِسِرٍّ

مورد المثل : كانت المنافسة مشتعلة ، بين إمارة الحيرة جنوبى العراق ، وهى خاضعة للفرس ، وإمارة الغساسنة فى الشام ، وهى خاضعة للروم ، وقد انتصر الحارث الغسانى فى إحدى المعارك على المناذرة ، فخرجت ابنته « حليمة » .. لاستقبال جند أبيها ، عند عودتهم مظفرين ، وعطرتهم بالطيب ، واشتهر هذا اليوم ، وذاع موقف حليمة فيه فقيل : « ما يوم حليمة بسر »

مضرب المثل : يضرب فى الأمر الذى ذاع وانتشر خبره بين الناس .. وإليك طائفة أخرى من الأمثال الجاهلية :

١ – « سبق السيفُ العَذْلَ »[١] .. ويضرب لفوات الأمر الذى لا يمكن تداركه .

٢ – « إن البغاث[٢] بأرضنا يستْنسِر[٣] .. » .. ويضرب للضعيف يصير قويا ، لأنه لا يجد من يقاومه ..

٣ – « بلغ السيلُ الزُّبَى[٤] .. » .. ويضرب للأمر الذى يجاوز الحد ..

٤ – « يداك أوْكَتَا[٥] وفوك نفخ » .. ويضرب لمن تصيبه عاقبة عمله ..

٥ – « قبل الرِّماء[٦] تُملأ الكنائن[٧] .. » .. ويضرب لضرورة الاستعداد قبل التنفيذ ..

---

(١) العذل : اللوم .
(٢) البغاث : الطير الصغير .
(٣) يستنسر : يصير كالنسر .
(٤) الزبى جمع زبية : وهى حفرة تحفر فى مكان عال .
(٥) أوكتا : ربطتا .
(٦) الرماء : الرماية .
(٧) الكنائن : جمع كنانة وهى جعبة السهام .

٦ – « مكره أخاك لا بطل .. » .. ويضرب لمن يرغم على ما يكره ..

٧ – « إن الحديدَ بالحديد يُفلَح[1] .. » .. ويضرب فى مواجهة القوة بالقوة ..

٨ – « إن أخاك من واساك .. » .. ويضرب للصديق المخلص ..

وهناك نوع آخر من الأمثال ، ارتبطت بأشخاص عرفوا بصفات محبوبة أو مكروهة : منها :

١ – « أجود من حاتم » ..

٢ – « أبلغ من قسّ » ..

٣ – « أبخل من مادر » ..

٤ – « أخلف من عرقوب » ..

---

(١) يُفلح : يشق .

من حكم العرب

الحكمة : قول موجز مشهور ، صائب الفكرة ، رائع التعبير ، يتضمن معنى مسلما به ، يهدف إلى الخير والصواب ... وتختلف الحكمة عن المثل فى أمرين :

(أ) أنها لا ترتبط فى أساسها بحادثة أو قصة ..

(ب) أنها تصدر غالبا عن طائفة خاصة من الناس ، لها خبرتها وتجاربها وثقافتها ...

وإليك طائفة من حكم العرب المأثورة :

١ – رب عجلة[١] تهبُ ريثا[٢] .. فقد يكون التسرع سببا فى ارتباك يؤدى إلى التأخير ..

٢ – « مصارع الرجال تحت بروق الطمع ».. فغالبا ما يؤدى الطمع إلى الهلاك..

٣ – « آفة الرأى الهوى » .. فالميل مع العاطفة يفسد الرأى ..

٤ – « من شدّد نفر ، ومن تراخى تألف .. » .. فالناس تنفر من الشديد القاسى وتميل إلى اللين الرحيم ..

٥ – « خير الموت تحت ظلال السيوف » .. فالموت فى ميدان القتال شرف لأنه يدل على الشجاعة ..

٦ – « رضا الناس غاية لا تدرك .. » ..

٧ – « حسبك من شر سماعه .. » .. أى ابتعد عن فعل الشر ..

---

(١) عجلة : سرعة .

(٢) ريثا : بطئا .